مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 16 العدد: 01 السنة 2024 ص 44 - 59

تاريخ الإرسال: 2020/10/01 تاريخ القبول: 2023/11/24
تاريخ النشر: 2024/05/16

بيوتات العلماء بمدينة بجاية: أسرة بني غبرين نموذجا

Families of Scholars in Bejaia:The Family of Beni Ghobrin as a Model

د. مريم هاشمي
جامعة تلمسان (الجزائر) hach-mer@hotmail.fr

الملخص:

كانت بجاية منذ العهد الحمادي بلد علم وعلماء إضافة إلى أنها كانت من أعظم أمصار بلاد المغرب حيث نفقت فيها أسواق العلوم والصنائع ونشأ بها علماء، واشتهر فيها الأعلام وضاهت أمصار الدول الإسلامية خاصة في عهد بني حفص الذين اهتموا بالعلوم وشجعوا العلماء وأغدقوا عليهم بالهدايا، ورغم الفتن والاضطرابات التي عصفت بمدينة بجاية فإنها لم تجعل أهلها يرغبون عن العلم والمعرفة بل جعلتهم يلتفون حول العلماء والأولياء.

كل هذا ساهم في نبوغ وبروز عدد كبير من العلماء. بل الكثير من البيوت العلمية. ومن هذه البيوت: أسرة بني غبرين الذين كان لهم دور في نشر العلم والمعرفة بالمدينة.

فمن هم بني غبرين؟ وما هي آثارهم ومآثرهم العلمية ببجاية وبالمغرب الإسلامي؟

الكلمات المفتاحيّة: مدينة بجاية، علماء بني غبرين، الإسهامات العلمية.

Abstract:

Bejaia has been since the time of Al-Hammadi a country of science and scholars. Besides, it was one of the greatest victories in the countries of the Maghreb where the markets of

sciences and craftsmanship had developed, and scholars grew up and became famous, and came to match every corner in the Islamic countries in the era of Bani Hafs who took care of science and encouraged scholars and inundated them with gifts. Despite the temptations that rocked Bejaia, people there didn't throw away seeking knowledge, they turn around scholars and tutor s. All these conditions contributed to the emergence of a large number of scholars and scientific families such as the family of Bani Ghabreen who had a role in spreading knowledge and science in the city.

Who is Bani Ghabreen Family? and what are its scientific effects in Bejaia and the Islamic Maghreb?

Key words:
City of Bejaia, Scholars of Bani Ghabrin, Scientific Contribution.

المؤلف المرسل: مريم هاشمي HACH-MER@HOTMAIL.FR

1.مقدمة:

ظهر في العالم الإسلامي بيوتات توارثت العلم وارتقت في المناصب الاجتماعيّة، ومن ذلك حاضرة بجاية الّذي ذاع صيتها من خلال أولئك العلماء الّذين أنجبتهم خلال العهد الحفصي. ويعدّ بيت بني غبرين واحد من تلك البيوتات العلميّة.

وتتجلّى أهميّة هذه الأسرة العلميّة من خلال اسهاماتهم الحضارية لهؤلاء العلماء والتّعمّق في دراستهم فمكانتهم لا تقلّ شأوا عن نظرائهم المشارقة.

فما هي مساهمة بيت بني غبرين في حواضر المغرب الإسلامي؟

ما هي هذه البيوتات الّتي أنجبت العلماء؟

وما هي الأدوار العلميّة والوظيفية الّتي وكّلت لهم؟

عاشت أسرة بني غبرين مابين القرنين السابع والتاسع الهجريين/13-15م

وهو عصر ضعف سياسي عرفه العالم الإسلامي والمغرب الإسلامي خاصة بعد ضعف الدولة الموحدية، حيث صار شيوخ القبائل المحالفة يتدخلون في شؤون الحكم وفي هذه الظروف بسط بنو عبد الواد نفوذهم على المغرب الأوسط(تلمسان)، وبنو مرين على المغرب الأقصى وبنو حفص على إفريقية(تونس)، وقد كان حكّامها منشغلين بالتّنازع فيما بينهم وهذا من أجل السيطرة على مراكز النفوذ[1] والمدينة التي أنجبت أسرة بني غبرين هي بجاية تعتبر من أعرق مدن المغرب الإسلامي حيث خضعت للحماديين وأصبحت في عهدهم مركزا علميّا يقصدها عدد كبير من العلماء والشعراء والكتاب في جميع المجالات ولقد وصفها الشاعر القسنطيني الحسن بن الفكون[2] بقوله:

دعِ العِرَاقَ وَبَغْدَادَ و شَامَهُمَا ** فَالنَّاصِرِيَّةُ ما أَنْ مِثْلُهَا بَلَدُ
بَرٌّ وَبَحْرٌ وَمَوْجٌ لِلْعُيُونِ بِهِ ** مَسَارِحٌ بِأَنَّ عَنْهَا الهَمُّ وَالنَّكَدُ
حَيْثُ الهَوَى وَالهَوَاءُ الطَّلْقُ مُجْتَمِع ** حَيْثُ الغِنَى وَالمِنَى وَالعِيشَةُ الرَّغَدُ[3]

وبعد انتقال المدينة إلى الموحدين تواصل هذا الازدهار وهذا بفضل تشجيع خلفاء الموحدين للعلم ونذكر منهم على سبيل المثال: الخليفة عبد المؤمن بن علي من شدّة تعلّقه بالعلم وأهله رفع الحظر عن طائفة الكتب الّتي كانت ممنوعة زمن المرابطين مثل: كتاب الإحياء للغزالي، كما عمل على بعث حركة التّأليف في مختلف أصناف العلوم ومنها: كتب الفروسيّة والمغامرات والقصص...وسمح لهم بقراءة مثل هذه المؤلّفات على كراسي المساجد[4] وأصبح يطلق عليها اسم "لؤلؤة المغرب" [5].

أمّا في العهد الحفصي فقد ادّخر أمراؤها جهدا ورعاية شديدة للعلم والعلماء حيث عملوا بكل ما في وسعهم على استقطاب واختيار كبار الكتبة والفقهاء وإدراجهم في مجالسهم العلمية ومن أبرزهم: أبو بكر بن عبد اللّه بن خطّاب المرسي

ت686هـ/1287م[6] الّذي أرسل إليه الأمير أبو عبد اللّه المستنصر أموالا كثيرة لهذا الغرض إلاّ أنّ ابن الخطّاب اعتذر وردّ له أمواله[7]، كما أنهم كانوا يرون أن التجاء العلماء الأندلسيين إلى بجاية إنما هو تشريف وإغناء لثروتها العلمية وسمعتها الأدبية ومن أبرز هؤلاء النازحين: أبو عبد الله محمد بن الآبار ت658هـ/1260م، أبو العباس أحمد بن الحسن الغماز ت693هـ/1294م [8].

كل هذا ساهم في نبوغ وبروز عدد كبير من العلماء، بل الكثير من الأسر الّتي ضمّت كثيرا من العلماء، ومن هذه الأسر: **أسرة بني غبرين** .

عرفت بجاية كغيرها من مدن وحواضر المغرب الإسلامي عددا من الأسر التي ضمت الكثير من العلماء مثل: أسرة المشاذلة، وأسرة بني غبرين..

لقد حفلت أسرة بني غبرين بشخصيات علمية بارزة كان لها أثرها في الشرق والغرب ومن أبرز هذه الشّخصيات:

- أبو النّجم هلال بن يونس بن علي الغبريني **توفي في القرن 7هـ/14م.**
- أبو محمّد عبد الحق بن يوسف بن حمامة الغبريني **توفي في القرن 7هـ/14م.**
- أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد اللّه الغبريني **ت704هـ/1304م.**
- أبو القاسم أحمد بن أحمد بن أحمد الغبريني **ت770هـ/1368م.**
- أبو سعيد أحمد بن أحمد بن أحمد الغبريني توفي نحو **775هـ/1373م.**
- أبو عبد اللّه محمّد بن يحي بن مؤمن بن علي الغبريني **ت778هـ/1385م.**
- أبو مهدي التونسي عيسى بن أحمد بن محمّد الغبريني **ت816هـ/1410م.**

1. أصل أسرة بني غبرين:

يعود أصل أسرة بني غبرين إلى بني غبري وهم بطن من قبائل الأمازيغ البربرية بأعالي سباو وقرب مدينة العزازقة حاليّا [9].

اشتهرت أسرة بني غبرين بالعلم والتقوى، وحفلت بشخصيات مرموقة مدّة من الزمن فمن أبو النجم هلال بن يونس الغبريني الذي توفي في القرن السابع الهجري/14م إلى أبو مهدي عيسى بن أحمد الغبريني ت816هـ/1410م

2. التعريف بأسرة بني غبرين ودورهم الثقافي:

1.2- هلال بن يونس الغبريني:

هو هلال بن يونس بن علي الغبريني يكنّى بأبي النّجم ولد بموطن قبيلته بني غبرين البربرية كان فقيها زاهدا منقطعا للعبادة يعدّه من أولياء العبّاد.

تولى التدريس بالجامع الأعظم ذكر الشيخ أبو زكريا الزّواوي بأنّه:"من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنّة فلينظر إلى هلال بن يونس" لم يذكر تاريخ وفاته ومن المرجح أنه توفي في القرن السّابع هـ/14م [10].

2.2-عبد الحقّ بن يوسف الغبريني:

هو عبد الحق بن يوسف بن حمامة الغبريني يكنّى بأبي محمد ترجم له في كتاب عنوان الدراية ترجمة قصيرة بأنّه برع في الفقه والنّحو واللّغة، ولقد ولي قضاء ببجاية لم يذكر تاريخ وفاته[11].

3.2-أحمد بن أحمد الغبريني:

يعدّ قطب أسرة بني غبرين وهو أحمد بن أحمد الغبريني يكنىّ بأبي العباس ولد سنة 644هـ/1246م، ولقد استفاد أبو العباس الغبريني من النشاط العلمي الّذي عرفته مدن بلاد المغرب الإسلامي والمطلع على طريقة التّعليم في ذلك الوقت يمكن أن يستنتج أنّه مرّ بنفس الخطوات التّعليميّة بحفظ القرآن الكريم في كتاتيب ومساجد بجاية، ثمّ أقبل على دراسة النّحو واللّغة والأدب والفقه على يد علماء أجلّة ناهز عددهم حسب ما سجّله هو على نفسه سبعين عالما[12] فنال بضاعة وافرة تمكن من

خلالها من بلوغ مستوى ثقافي لائق ويظهر أنه واصل دراسته وتخصّصه في عدة علوم في مرحلته التعليمية فدرس العلوم الدينية من قراءات وتفسير وحديث وفقه وتضلّع في العلوم العقلية منها: الطب والرياضيات... [13]

وبما أن التعليم أحد الرّكائز الأساسيّة التي تساهم في دفع عجلة الحركة الثقافية نحو التقدّم فقد شغل أبو العباس هذه الوظيفة وكان على درجة عالية من الأداء والتفوق لا يحضرها إلا النجباء[14]، حيث كانت طريقته في التدريس تعتمد على الحوار والمناقشة والتعمق في البحث والتعليل واستغلال الجدل في البحث[15].

وهذه الطّريقة انتشرت في تونس على يد أبي عبد اللّه بن شعيب الدكالي وبتلمسان على يد ابني الإمام وتلاميذ ناصر الدين المشذّالي، وفي هذا الصّدد يذكر عبد الرّحمن بن خلدون أنّه: "ارتحل من زواوة في آخر المائة السّابعة أبو علي ناصر الدّين المشذّالي إلى المشرق وأدرك تلاميذ أبي عمرو بن الحاجب وأخذ عنهم ولقن تعليمهم وقرأ شهاب الدين القرافي في مجالس واحدة وحذق في العقليات والنقليات ورجع إلى المغرب بعلم كثير وتعليم مفيد، ونزل ببجاية واتّصل سند تعليمه في طلبتها، وربّما انتقل إلى تلمسان عمران المشذّالي من تلاميذه وأوطنها وبثّ طريقته فيها"[16]، ومن أبرز تلامذته: أبو العباس أحمد القلشاني ت757هـ، ابنيه أبو القاسم وأبو سعيد الغبريني... [17].

وقد أعجب ابن الطواح–صاحب كتاب سبك المقال لفك العقال–من غزارة علم الغبريني وتلامذته وعلّق بقوله: "فسمعت كلاما رائعا ورأيت لسانا ناطقا بالمعارف...يحتاج من يحضر هذا الدرس إلى أن يعصب رأسه من قوّة كلام الأستاذ"[18].

كما تولّى أبو العباس الغبريني خطّة القضاء والتي تعتبر من أشرف الخطط بعد الخلافة يولّيها السلطان لمن يراه كفؤا وصالحا علما وخلقا فيعينه مباشرة، أو يعيّن شخصية كبيرة من الفقهاء والعلماء والأكفاء لمنصب كبير في القضاء[19].

وقد كان كبير القضاة يسمى قاضي الجماعة وهو أعلى منصب قضائي وأجلّ مرتبة قضائية[20]، ويُعَيّن عند بني حفص من قبل السلطان بعد توفر الكفاءة والقدرة والمؤهلات العلمية والإدارية وذكر النباهي تولي أبو العباس هذا المنصب قائلا أنّ: "أبا العبّاس لما تولّى القضاء بأنّه كان شديدا في أحكامه وكان مهيبا وقورا وكان قبل القضاء يحضر الولائم ويدخل الحمام ولمّا تولّى القضاء سلك سبيل الجدّ فترك حضور الولائم، وتجنّب دخول الحمام وآثر قلّة الاختلاط بالنّاس"[21] فغدا كبير الشورى بها[22].

وما يلاحظ أن منصب القضاء كان من اختصاص أسرة بني غبرين ويمكننا القول إن لقب القاضي كاد يكون وراثيا، وقد توفّرت فيهم المؤهّلات والشّروط سمحت لهم بتولّي هذا المنصب ويمكن تلخيصها فيما يلي:

-العقل والحرية والإسلام والعدل وسلامة الحواس.

-الإطلاع الواسع في مختلف المجالات خاصة الأحكام الشرعية.

-التحلي بالآداب الشرعية مثل:النزاهة والاستقامة.

هذه العوامل ساعدت أسرة بني غبرين على تفوقهم ومهارتهم في المباحث القضائية[23].

مؤلفاته:

اهتم علماء المغرب الإسلامي بالتأليف في ميادين كثيرة ومن الطبيعي أن يوجّه عالمنا اهتمامه بالتأليف حيث ترك لنا كتابه الشهير:" **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السّابعة ببجاية**" وهو من المصادر التاريخية في

المكتبة العربية عن الحياة العلمية في القرن السابع الهجري/14م في بجاية والمغرب الأوسط، فقد ضم مائة وثمانية ترجمة من شيوخ العلم ورجال الفقه والتصوف والأدب في القرن السابع الهجري/14م وأوضح ذلك في مقدمته: "إني قد رأيت أن أذكر في هذا التقييد من عُرف من العلماء ببجاية في هذه المائة السّابعة الّتي نحن في بقيّة العشر الّذي هو خاتمها. ختمها اللّه بالخيرات وجعل ما بعدها مبدءا للمسرات.أذكر منهم من اشتهر ذكره ونبل قدره وظهرت جلالته وعرفت مرتبته في العلم ومكانته"[24].

وقد نشر هذا الكتاب لأول مرة في مدينة الجزائر عام 1910 بعناية الأستاذ محمد بن شنب، وهو من أجل الكتب وأغزرها مادّة وأعظمها فائدة فهو حسب تعبير عبد الوهاب بن منصور:"من الكتب الّتي تكتب سطورها بماء الذّهب ويفتخر بتأليفها أهل المغرب الأوسط، ولولاه لجهل أعلام وضاع علم كثير" [25]، كما له مؤلفات أخرى منها: "المورد الأصفى" و"الفصول الجامعة"[26].

وفاته:

رحل أبو العباس إلى تونس فنال حظوة في البلاط الحفصي إلّا أنّ حساده أثاروا عليه لدى السّلطان أبا البقاء خالد فسجنه ثمّ قتله سنة **704هـ/1304م** ، وترجع أسباب قتله إلى وشاية ضدّه في البلاط البجائي قام بها الحاجب "أبو عبد الرّحمن يعقوب ابن الغمر الأندلسي" و"ظافر الكبير" أحد الأعلاج اللّذين تآمرا ضدّه لدى السّلطان أبي البقاء الأمر الّذي أكّده عبد الرّحمن بن خلدون بقوله: "فأغروه به وأشاعوا أنّه داخل صاحب الحضرة وتولّى هذا الأمر ظافر الكبير وذكره ما كان في شأن السّلطان أبي إسحاق وأنّه الّذي أغرى بني غبرين فاستوحش منه السّلطان وقبض عليه سنة أربع وسبعمائة ثمّ أغروه بقتله بمحبسه في تلك السّنة وتولّى قتله

منصور التّركي" [27]، وهكذا ذهب الغبريني ضحيّة المؤامرات والدّسائس فقتل مظلوما رغم إخلاصه.

4.2- أحمد بن أحمد الغبريني:

هو أحمد بن أحمد بن أحمد الغبريني كنيته أبو القاسم وهو من أفراد الأسرة الغبرينية نشأ وتربى وتعلم بها فقد أقبل على الدراسة منذ صباه وأخذ علوم العصر وقد أهّلته دراسته للقرآن الكريم والسنة النبوية أن يغترف مقاصد الشريعة[28].

وبما أن الرحلة في طلب العلم من المسائل المحمودة لما لها من أثر على ترسيخ المعارف في ذهن الطالب ونضوج فكره ليكون تكوينه سليما وصلبا، فقد أقبل عالمنا أبو القاسم على الرحلة لطلب العلم واستفاد من علماء تونس منهم:ابن عبد السلام، محمد بن غريون كما سمع من منصور بن أحمد بن عبد الحق المشذالي، ثمّ ارتحل إلى القاهرة وأجازه عبد المؤمن بن خلف الدمياطي ومحمد بن دقيق العيد[29].

تولى مهنة التدريس ومن أبرز تلاميذته: أبو مهدي عيسى الغبريني، البرزلي، أبو عبد الله القلشاني، أبو الطيب بن علوان وقد أثنى عليه هذا الأخير بأنه:" :"شيخنا الإمام العلامة المشاور الثبت الرواية المدرس المفتي الخطيب ذو الخطط الشّرعيّة والعلوم النقلية"[30].

كما ذكر ابن الجزري بأنّه:"...شيخ يعزّ وجود مثله في وقتنا"[31].

أبو القاسم مفتيا:

استطاع أبو القاسم الغبريني أن يصل إلى مراتب الفقهاء الذين يتصدّون للإفتاء لمكانته العلمية وثقافته الشرعية وجمعه لشروط الاجتهاد فكان منهجه في فتاويه منهجا ممتازا ويتجلّى ذلك في:

-الاعتماد على الدّليل والبرهان والتعليل

-احترام آراء العلماء والسابقين.

-الالتزام بمذهب مالك.

-عدم التشدّد والحرص على التسيير والتواضع.

-قوّة الملاحظة والمجادلة والثّقة بالنفس[32]، ويبدو ذلك من خلال بعض فتاويه التي ذكرت في كتب النوازل منها:"الدرر المكنونة في نوازل مازونة". ومن أبرزها تعقيبه على فتوى التّلمسانين**(الشّريف التّلمساني وأبو عبد اللّه المقري)**المتعلّقة بـ "من أوصى بثلث ماله واشترط أنّه لا يرجع في وصيّته" وقد ردّ عليه قائلا:"أوّلا:أمّا قول أبو عبد اللّه المقري بأنّ الوصيّة فلا يبعد بطلانها،فإن رجع عنها كان بيّن في صحّة رجوعه،قلت هذه دعوى مبنيّة على دعوى،وقوله:"بخلاف ما أوصى بعتق عبد أو أمة والتزام بأن لا يرجع في ذلك الأجوبة وأجب بخلاف الشّرط إمّا وحده أو معهما، قلت هذا الكلام ليس فيه تحقيق،الأوّل مبني على الشّكّ أو التّجويز، والثّاني أنّه فرق بين الوصيّة والعبد والوصيّة بخلاف"[33].

وتكمن أهميّة هذه الفتوى في كونها تغوص في أعماق الأحكام والمسائل الفقهيّة فهي تكشف لنا النقاب عن ملامح الحياة الاجتماعية والاقتصادية التي عاصرها الفقيه.

توفي رحمه الله بعد سنة **770هـ/1368-1369م.**

5.2- أحمد بن أحمد الغبريني:

هو أحمد بن أحمد بن أحمد الغبريني كنيته أبو سعيد، نشأ في وسط أسرة تميزت بالعلم والوجاهة حيث نال حظه من التربية والتعليم في سن مبكرة، وقد اجتمعت عدة عوامل ساهمت في تكوين شخصيّته أهمّها:

-ذكاؤه واستعداده الفطري وقوة عزيمته وإرادته الصلبة على احتمال الصعاب.

-أسرته التي عرفت بالعلم والمجد فهو ابن العباس الغبريني وأخوه أبو القاسم الغبريني، مما هيّأت له فرص التفرغ للدراسة والتعليم.

–تحول بجاية إلى أكبر قاعدة فكرية وثقافية في ذلك الوقت ولقد وصفها الرّحالة العبدري ت720هـ/1321م الّذي زار بجاية فوصفها بقوله:"...وهذا البلد بقيّة قواعد الإسلام ومحلّ جلّة من العلماء والأعلام"[34].

هذه العوامل أهّلت أبو سعيد الغبريني بأن يكون من كبار فقهاء المالكيّة[35]، فأخذ عنه مجموعة كبيرة من التلاميذ من أبرزهم: ابن علوان الذي ذكر عنه بأنّه: "هو شيخنا الفقيه الرّئيس الإمام الخطيب الموقر المشاور المسند المحدّث بقية المشايخ" [36].

توفي أبو سعيد بتونس نحو سنة **775هـ/1373م**[37].

6.2- محمّد بن يحي الغبريني:

هو محمّد بن يحي بن مؤمن بن علي الغبريني كنيته أبو عبد اللّه الملقّب بمنديل، ولد ونشأ ببجاية توفي سنة 787هـ/1385م.

وهو من العلماء الزّهاد، شدّ الرحال إلى المشرق لأداء فريضة الحجّ وتعتبر فرصة لطلب العلم فذكر الفاسي بأنّه: "بحر في العربيّة وتحقيق مسائلها، صالح زاهد، ورع، فاضل متفنّن.."[38].

توفي بمكّة سنة **787هـ/1385م**[39].

7.2- عيسى بن أحمد الغبريني:

هو عيسى بن أحمد بن محمّد بن محمّد الغبريني كنيته أبو مهدي، نشأ في بيئة علمية يظلّلها الزهد والتقوى مات بتونس سنة813هـ/1410م [40].

وأبو مهدي الغبريني لا يقل مكانة عن أسرته العلمية، فقد كانت له محطّات كثيرة في مختلف المدن والبلدان، إذ كان من أبرز العلماء الذين عاشوا في تلك الفترة حيث ذكر التنبكتي بأنّه:"محدّث من كبار فقهاء المالكيّة، ولي القضاء بتونس وإمامة جامع الزيتونة عندما ذهب الشّيخ الفقيه ابن عرفة إلى الحجّ"[41].

اهتمّ أبو مهدي الغبريني بالرحلة في طلب العلم كما رحل أجداده حيث رحل إلى تونس فأقام بها عالما ومتعلّما، فقد التقى بالإمام ابن عرفة وحضر مجالسه العلميّة، كما درس على أبي القاسم الغبريني [42].

ومن أهمّ تلامذته الذين أخذوا عنه واستفادوا من براعته العلميّة والفقهيّة:

أبو يحي بن عتيبة القفصي، عبد الله الغرياني، يحي بن عبد الرحمن بن محمّد بن شرف الدّين ت862هـ [43]، عمر القلشاني وأبو القاسم القسنطيني وأبو الحسن علي بن عصفور وابن ناجي... [44].

مكانته العلمية:

كان لأبي مهدي الغبريني مكانة علميّة مرموقة بين علماء عصره فقد تقلّد منصب القضاء والإمامة بجامع الزيتونة فذاع صيته بين العلماء عبر العصور وممّا يدلّنا على هذه المكانة الرفيعة ما احتفظت به المصادر من آراء وشهادات تلاميذه الذين أخذوا عنه:

ابن ناجي:"ما رأيت أصحّ منه نقلا ولا أحسن منه ذهنا ولا أنصف منه مع كمال الرئاسة.." [45]، كما ذكر في موضع آخر عنه:"كان شيخنا الغبريني لا يقدم أحدا لقضاء ولا لشهادة إلاّ بموافقة الشيخ ابن عرفة[46].

الأمير **أبو عبد اللّه المدعو الحسين** بن السّلطان **أبو العبّاس** فقال أنّ:"شيخنا ابن عرفة وشيخنا الغبريني ممّن يجتهد في المذهب ولا يحتاج للدّليل على ذلك إذا العيان شاهد بذلك" [47].

كما ذكر عنه الشيخ **عبد الرحمن الثعالبي** عنه بأنه: "أوحد زمانه علما ودينا" [48].

استنتاج:

إنّ الأوضاع السّياسية الّتي مرّت بها مدينة بجاية خاصّة عبر القرون الثلاثة المشكلة للإطار التاريخي لهذه المداخلة، والّتي كان التوتر والصراع مع الجيران سمتها البارزة، لم يؤثر ذلك على الحركة العلمية حيث كانت نشيطة جدّا، وبالتّالي فالتقهقر الفكري لا يرتبط حتما بالتدهور السياسي، وفي ظلّ ذلك برزت **أسرة بني غبرين** العلميّة وهي تعتبر من العائلات الكبيرة في بجاية التي اشتهرت بالعلم والثقافة على غرار الأسر العلمية بالمغرب الإسلامي حيث برزت مابين القرنين السابع والتاسع الهجريين/14-15م نبغ منها علماء أجلاء في ميدان القضاء والعلم وكان لهم تأثير بالغ في الحياة الفكرية والعلمية سواءا ببجاية أو بالمغرب الإسلامي.

أسرة بني غبرين على الرغم من غزارة علمهم وسعة اطلاعهم فلم يصلنا عن إنتاجهم العلمي سوى القليل من المؤلفات، وهذا نظرا لانشغالهم بالقضاء والإمامة والفتوى ومنها كتاب:" عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السّابعة ببجاية".

ويعتبر هذا الكتاب سجل حافل بتراجم عشرات من العلماء والمؤرخين والأدباء والشّعراء ممّن عرفتهم مدينة بجاية أو وفدوا عليها خلال القرن السّابع الهجري/14م، وهو من أحفل الحقب الذهبيّة التي عرفتها المدينة الإسلاميّة ففيه يتبيّن للقارئ ما كان لهذه المدينة من الصّلات الوثيقة مع الحركات الثقافيّة في العالم الإسلامي.

الهوامش:

1) ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، 1972، ص117.

2) أبو علي الحسن بن الفكون من الأدباء البارزين في القرن السّابع الهجري نشأ بقسنطينة، امتاز شعره بالرّقة والحسن وخاصّة في وصف الطّبيعة.ينظر: أحمد الغبريني أبو العبّاس، **عنوان الدّراية فيمن عرف من العلماء في المائة السّابعة ببجاية**، تحقيق: رابح بونار، ط2، الجزائر، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، 1981، ص ص280-286، مولاي بلحميسي، **بجاية في حدائق الكتب**، مجلّة الأصالة، العدد19، السّنة الرّابعة، الجزائر1974، ص105.

3) عبد الرّحمن بن خلدون، **العبر**، ج6، بيروت، دار الكتب العلميّة، 2006، ص17، رشيد مصطفاي، **بجاية في عهد الحماديين**، مجلّة الأصالة، العدد الأوّل، السّنة الأولى، الجزائر1974، ص84.

4) عبد الرّحمن الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ط7، ج2، الحزائر، ديوان المطبوعات الجامعيّة، 1994، ص25.

5) عبد الكريم عزوق، **المعالم الأثريّة الإسلامية ببجاية ونواحيها (دراسة أثريّة)**، أطروحة دكتوراه، معهد الآثار، الجزائر، جامعة الجزائر، 2008، ص84.

6) هو محمّد بن خطاب الغافقي أصله من مرسية، ارتحل إلى تلمسان واستقرّ بها حيث عيّنه السّلطان يغمراسن بن زيان كاتبا توفي سنة686هـ/1287م. ينظر: لسان الدّين بن الخطيب،**الإحاطة في أخبار غرناطة** ، تحقيق: عبد اللّه عنان، ج2، ط1، القاهرة، مكتبة الخانجي،1947، ص ص426-432.

7) لسان الدّين بن الخطيب، المصدر السابق، ص ص426-432، عيسى بن الذيب، **الحواضر والمراكز الثّقافيّة في الجزائر خلال العصر الوسيط**، الجزائر، المركز الوطني للدّراسات والبحث في الحركة الوطنيّة وثورة أوّل نوفمبر1954، 2007، ص147.

8) عبد اللّه عنان، **مدرسة بجاية الأندلسيّة وأثرها في إحياء العلوم بالمغرب الأوسط**"، مجلّة الأصالة، العدد13، السّنة الثّالثة، الجزائر1974، ص ص194-195.

9) ناصر الدين سعيدوني، **من التّراث التّاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي**، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1999، ص128.

10) الغبريني، المصدر السابق، ص169.

11) نفسه، ص268.

12) ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص128.

13) الغبريني، المصدر السابق، ص10.
14) الغبريني، المصدر نفسه، ص14.
15) رزّاق حبيب، **مراكز التّعليم ومناهجه في العهد الحمّادي بقلعة بني حمّاد وبجاية النّاصريّة**، مجلّة الفكر الجزائري، العدد04،الجزائر2005،ص120.
16) عبد الرحمن بن خلدون، **مقدّمة ابن خلدون**، بيروت، دار الفكر للنّشر والتّوزيع، 2000، ص439.
17) الأنصاري، **فهرست الرصاع**، ط1، تحقيق وتعليق: محمّد العنابي، تونس، المكتبة العتيقة، 1967،ص183.
18) عبد الواحد محمّد بن الطّواح، **سبك المقال لفكّ العقال**، تحقيق: محمّد مسعود جبران، ليبيا، دار الكتب الوطنيّة، 2008، ص238.
19)- Barges. **Tlemcen, Ancienne capitale du Royaume de ce nom, sa topographie** Paris ; 1859,365

20) روبار برونشفيك، **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن13إلى نهاية القرن15م**، ج2، ط1 ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت1988،ص115، سيدي موسى محمد الشريف، **الحياة الفكرية ببجاية من القرن السابع الهجري إلى بداية القرن العاشر الهجري/13-15م**، رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة الجزائر2001، ص47.
21) النباهي، **المرقبة العُليا**، بيروت، دار الأفاق الجديدة، 1983 ،ص132.
22) ابن خلدون، المصدر السابق، ص462.
23) النبراوي، **النظم والحضارة الإسلامية**، القاهرة ، دار الفكر العربي، 1999 ،ص117
24) الغبريني،المصدر السابق،ص 27.
25) سعيدوني، المرجع السابق،ص 131
26) نويهض، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر**، بيروت، مؤسسة نويهض الثقافية،1980،ص249.
27) ابن خلدون، المصدر السابق، ص462.
28) التنبكتي، **نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج**، القاهرة، مطبعة الفحّامين،1351،ص73.

29) نفسه،المصدر السابق،ص73،عادل نويهض،المرجع السابق،ص250.
30) المصدر نفسه،ص73.
31) نويهض،المرجع السابق،ص249.
32) التنبكتي،المصدر السابق،ص73.
33) يحي المازوني، **الدّرر المكنونة في نوازل مازونة**، تحقيق: مختار حساني، ج3، الجزائر، نشر مخبر المخطوطات، 2004، ص ص264-275.
34) محمّد العبدري البلنسي، **الرّحلة المغربيّة**، تقديم: سعد بوفلاقة، الجزائر، منشورات بونة للبحوث والدّراسات، 2007، ص50.
35) التنبكني، المصدر السابق، ص73.
36) نفسه ، ص73.
37) يحي بوعزيز، **أعلام الفكر والثّقافة في الجزائر المحروسة**، ج2، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2004، 290.
38) نويهض، المرجع السابق، ص250.
39) المرجع نفسه، ص250.
40) التنبكتي، المصدر السابق، ص193، بوتشيش أمينة ، **بجاية دراسة تاريخيّة وحضاريّة مابين القرنين6-7هـ/12-13م**، مذكّرة ماجستير، جامعة تلمسان2008، ص183، Barges ,op cit,p365
41)المصدر نفسه، ص193.
42) التنبكتي، المصدر نفسه، ص193.
43) نفسه،ص358.
44) التنبكتي،المصدر السابق، ص193.
45) التنبكتي، المصدر نفسه، ص193، بوعزيز ،المرجع السابق،ص291.
46) روبار برتشفيك، المرجع السابق، ص122.
47) التنبكتي، المصدر السابق، ص193، بوعزيز ، المرجع السابق، ص291.
48) بوعزيز ، المرجع السابق، ص291.